

دمية القصر

ما حل أرضاً وهي تشكو جديها ... إلا ترحل وهي أخصب من إرم .
وسما بخالص ما صفا من سره ... حيث انتهى مختار أسرار الأمم .
كالبدر بل كالشمس بل كلتيهما ... كالليث بل كالغيث هطال الديم .
لما سمع هذه الأبيات أبو الهيجاء علي بن أحمد الخوافي قال فيه :
جميع من لهم نظم من الكلم ... أشعارهم دون شعر الحاكم الحكم .
قصيدة صاغا حذاء معجزة ... لكن صياغتها من جوهر الكلم .
رأيتها عذبة الألفاظ سائرة ... كأنها خلقت من صفوة الحكم .
ما أنشأت مثلها الأوهام مذ نشأت ... ولا جرى مثلها من مرعف القلم .
سقياً لقائله سقياً لمنشدها ... سقياً لسامعها في العرب والعجم .
الشيخ أبو نصر أحمد بن ينفع .

هو في المنصب خوافي وفي المنصب قشيري . ولست أروي وصفاً أجمع لفضائله وفضائل قبائله
من قول الأديب أبي بكر اليوسفي فيهم :

سقى آل ينفع صوب الحيا ... فهم في حساب العلا الحاصل .
هم الزائدون هم الفاضلون ... وغيرهم الزائد الفاضل .
لساني عن حالهم سائل ... ودمعي على غثرهم سائل .
إذا كنت في ظلهم قائلاً ... فإنني بفضلهم قائل .

ثم الشيخ أبو نصر من بينهم رأس الرؤساء ووارث العزة القعساء وصاحب البيان الذي ينسي
القرم جراحه والليث زماجره . ويتضاءل سحبان ويتضعض لفصاحة بين لحييه فيتقعقع . ثم له
من الترسل الحظ الأولى وقده فيه القدح المعلى . وكتب مدة في ديوان الرسالة للشيخ أبي
نصر أحمد بن أحمد بن عبد الصمد الوزير والجاه بمائة والمال بنمائه والأمر نافذ والقلب
بأطراف الأمانى آخذ . فلما حانت أيام الفترة وأصبت سماء الفتنة اجتمع إليه نفر من
الغاغة واستولوا على النواحي المجاورة لناحيته بشن الغارة . ونظروا إلى العواقب بعين
الحقارة ولم ينصفوا في مراعاة القارة حتى طلعت الرايات الطغرلية فانقضوا من حوله لخوف
السلطان وهوله " كمثل الشيطان إذا قال للإنسان : اكفر فلما كفر قال : إني بريء منك إني
أخاف الله رب العالمين " . ولولا سوء القضاء المضيق عليه لرحب الفضاء لأكب على العلم وهو
فيه من الأعلام ولم يتعاط السيوف بدلاً من الأقلام غير أنه اغتر بآسه الشديد وانتقل من
القصب إلى الحديد . فأخذه السلطان أخذ عزيز مقتدر وأورده الأجل حتفه شرب محتضر . فصلب

ذلك الكبير بالمرير الصغير على بعض الخشاب . وأنشد : علو في الحياة وفي الممات ورثاه
الشيخ والدي C بقصيدة أولها : .
لأبي نصر بن ينفع حزن ... في فؤادي تضيق عنه الضلوع .
جذع هالنا على الجذع منه ... منظر رائع وقلب مروع .
طاله الجذع فاستطال ولولا ... جهلها لم تطل كذاك الجذوع .
فمما بلغني من شعره ما أنشدني الشيخ أبو محمد الحمداني قال : أنشدني لنفسه مرثية
ابنه أبي الحسن بن ينفع رحمهما الله : .
شف المكارم والعلل تعطيل ... إذ قيل ينفع ذو الندى مقتول .
سمح القضاء به فقلت مصدقاً ... إن الزمان بمثله لبخيل .
تبكي عليه بدمعها عين العلا ... والمجد مشقوق الصدر عليل .
لو كان مثلك من أصابك سيداً ... نفع العزاء ونفس التعليل .
قال : وأنشدني لنفسه وقد كتب منها إلى بعض أصدقائه من الحبس : .
دعوت فلاناً راجياً فكأنما ... دعوت به غيثاً من الجود هامياً .
وأوردني شرباً من الفضل صافياً ... وألبسته ثوباً من الحمد ضافياً .
على أن ذا يفنى ويبقى ثناؤنا ... وخير جزاء المرء ما كان باقياً .
قال : وأنشدني لنفسه أيضاً وكتب بها إلى شمس الكفاة ساعة وروده الحضرة : .
وشاعر جاء شعره ذهب ... ينثر من لفظه ومن كيسه .
له نثاران يبتغي بهما ... في عدله موضعاً لتعريسه .
إن ابن ليث أصابه سبع ... فصار من جحره إلى خيسه .
وأنشدني الأديب أبو القاسم مهدي بن أحمد الخوافي قال : أنشدني الشيخ أبو نصر لنفسه :
قال : وكتب به إلى شمس الكفاة :